بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونثني عليه الخير كله، اللهم لك الحمد كما هديتنا للإسلام، ومننت علينا ببعثة خير الأنام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نصب على ربوبيته أعظم الدلائل، وأقام على ألوهيته الآيات الجلائل، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله سيد الأواخر والأوائل، المبعوث بأكرم السجايا وأشرف الشمائل، صلى الله عليه وعلى آله أولي المكرمات والفضائل، وصحبه الذين أحبوه محبة تفوق محبة النفس والمال والولد والحلائل، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وفي نصرة الحق يُجاهد ويناضل، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

إن المبدأ والمعاد من المسائل المهمة جدًا والتي طُرحت في القرآن بشكل واسع، بحيث اختص ما يقرب الألفين من الآيات -أي: ثلثا القرآن- بالمعاد، كما أن ثلث الآيات اختصت بموضوع المبدأ. وهذا الأمر يكشف عن أهمية المبدأ والمعاد.

والمعاد من وجهة نظر القرآن جسماني وروحاني، أي أنَّ جسم الإنسان يحشر يوم القيامة كما تحشر روحه.

وبعبارة أُخرى: أنَّ روح الإنسان تكون مشمولة لنعم الله ونقمه، كما هو الحال بالنسبة إلى جسمه، وذلك هو مقتضى العدل الإلهي، فكما أنَّ الإنسان بجسمه وروحه عمل خيرًا أو شرًا، ففي القيامة ينبغي أن ينال كلٌّ من الروح والجسم نصيبه وجزاءه من العمل الدنيوي من ثواب أو عقاب.

إنَّ ما أثار دهشة وإعجاب منكري المعاد في صدر الإسلام هو القول بالمعاد الجسماني لا الروحاني؛ وذلك لأنَّ عقل أكثر الناس في عيونهم فيصدقون ما يرون ويكذبون ما لم يروا. من هنا كان يسأل منكرو المعاد: كيف يمكن أن يحيى الإنسان بعد ما تبدل إلى تراب بعد الموت بحيث يتعذّب يوم القيامة؟ فأجابهم الله على شبهتهم هذه في الآيتين ٧ و ٨ من سورة سبأ حيث قال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ

يُنَبَّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ﴾ .

لقد تمسك القرآن المجيد بالمثل لإثبات المعاد الجسماني والروحاني، كما هي سيرته في تفهيم المطالب لمخاطبيه. وقد أفاد هنا من ثلاثة أمثال:

١ - التمثيل بالنباتات وتشبيه الحياة بعد الموت بإحياء النباتات بعد موتها.

٢ - التمثيل بالمراحل الجنينية لخلق الإنسان حيث تبدأ حياته بنطفة صغيرة تنمو كل يوم، ويُعدُّ كل يوم من هذه المراحل حياة جديدة لهذا الجنين.

٣ - التمثيل بنوم أصحاب الكهف، فإنَّ نومهم كان بمثابة الموت، ويقظتهم كانت بمثابة الحياة الجديدة بعد سنوات عديدة.

كيف يمكن لشخص أن يستيقظ من النوم سالمًا بعد أكثر من ثلاثمائة سنة دون أن يأكل أو يشرب خلال هذه الفترة؟

حسب ما أقرته الآية، أنَّ أصحاب الكهف ناموا مدّة مليون يومًا، وخلال هذه الفترة لم يتناولوا شيئًا من الطعام أو الماء رغم هذا استيقظوا سالمين، مع أنَّ الإنسان العادي لا يستطيع العيش لأكثر من يومين أو ثلاثة دون أكل وشرب.

ومن عجائب خلق الإنسان هو قلبه، فإن ضرباته تصل إلى مائة ألف ضربة في اليوم. وإذا اعتبرنا عمر الإنسان العادي سبعين عامًا، فإنَّ عدد ضربات قلبه ستصل إلى ٢٥٠ مليون ضربة (عَجَبًا لِحِكْمَةِ اللهِ)!

إنَّ قلب الإنسان كاف لأجل معرفة الله ولأن يقرّ الإنسان بعظمة الخالق ويخضع له ... وعليه، فاذا كانت أجسام أصحاب الكهف تعيش بالأغذية التي تناولتها قبل النوم ولمدة مليون يومًا، فإنَّ على قلوبهم أن لا تدق في اليوم الواحد أكثر من مرّة واحدة. وعلى هذا، فإنَّ أصحاب الكهف كانوا أشبه ما يكونون بالموتى، أحياهم الله بعد أكثر من ثلاثمائة عام. وإذا كان الله قادرًا على أن يوقظ أناسًا بعد مليون يوم من النوم، فكيف لا يمكنه أن يُحيي الموتى!

لهذا يصرّح الله في ذيل آية أصحاب الكهف بالحديث التالي: ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الكهف :٢١].

وقد تناول كثير من العلماء هذا الموضوع بطرق عدة، ولكن على الصعيد الفلسفي فلقد تميزت فلسفة الشيخ الرئيس ابن سينا بأنها تؤلف بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية. ومن أهم الكتب التي مزج فيها بين الفلسفتين هو كتاب "المبدأ والمعاد". ولقد مَنَّ الله علينا بالعثور على نسخة نادرة لهذا الكتاب القيم.

وقد حاولنا جاهدين إخراج هذا الكنز الفكري في أبهى صورة، وندعو من الله التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلَّى الله وسلم على سيّد البلغاء من الناس مُحمّدِ بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

obeikandi.com

ترجمة
الشيخ الرئيس ابن سينا

اسمه ونسبه:

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم مسلم اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما.

عُرِفَ باسم الشيخ الرئيس، وسماه الغربيون بأمير الأطباء، وأبو الطب الحديث.

وقد ألّف العديد من الكتب في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. ويُعد ابن سينا من أول من كتب عن الطبّ في العالم، ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب.

ويقال: كان الطب معدومًا فأوجده أبقراط، وكان ميتًا فأحياه جالينوس، وكان متفرقًا فجمعه الرازي، وكان ناقصًا فأكمله ابن سينا.

مولده ونشأته:

ولد في قرية (أفشنة) بالقرب من بخارى (في أوزبكستان حاليًا) من أب من مدينة بلخ (في أفغانستان حاليًا) وأم قروية سنة (٣٧٠هـ /٩٨٠م) وتوفي في مدينة همدان (في إيران حاليًا) سنة (٤٢٧هـ /١٠٣٧م).

ووالده من أتباع الباطنية، كما ذكر ابن سينا وقد كان يحضر اجتماعاتها السرية ويعقد بعضها في بيته، ويحرص على حضور ابن سينا وأخيه لتلك الاجتماعات، وإن كان ابن سينا غير مقتنع بها.

رحل إلي مدينة بخاري وهناك التحق ببلاط السلطان نوح بن منصور الساماني، الذي أسند إليه متابعة الأعمال المالية للسلطان.

في بخارى بدأ ابن سينا رحلة تلقي العلوم، حفظ القرآن وعمره لم يتجاوز العاشرة ثم تلقي علوم الفقه والأدب والفلسفة والطب.

حدث أن قدم إلى بلدة بخارى عالم متخصص بعلوم الفلسفة والمنطق اسمه "أبو عبد الله النائلي" وهو من فلاسفة الباطنية، فاستضافه والد ابن سينا، وطلب إليه أن يُلقِن ابن سينا شيئاً من علومه، فما كان من هذا العالم إلا أن تفرَغ لتلميذه، وأخذ عليه دروسًا من كتاب "المدخل إلى علم المنطق" المعروف باسم "إيساغوجي".

وما كان أشد إعجاب النائلي من تلميذه حين وجده يجيب عن الأسئلة المنطقية المحورية إجابات صائبة تكاد لا تخطر على بال معلمه. واستمر ابن سينا مع معلمه إلى أن غادر هذا المعلم بلدة بخارى.

بدأ نبوغ ابن سينا منذ صغره؛ إذ يحكي أنه قام وهو لم يتجاوز الثامنة عشر بعلاج السلطان نوح بن منصور الساماني، وكانت هذه هي الفرصة الذهبية التي سمحت لابن سينا إلتحاقه ببلاط السلطان، ووضعت مكتبته الخاصة تحت تصرف ابن سينا.

ترحاله:

كان ابن سينا محبًا للترحال لطلب العلم، حتى إذا بلغ العشرين من عمره توفي والده، فرحل أبو علي الحسين بن سينا إلى جرجان، وأقام بها مدة، وألف كتابه "القانون في الطب"، ولكنه ما لبث أن رحل إلى "همدان" فحقق شهرة كبيرة، وصار وزيرًا للأمير "شمس الدين البويهي"، إلا أنه لم يطل به المقام بها. ففي عام ١٠٢٢ توفي شمس الدولة ليجد ابن سينا نفسه وسط محيط غير مريح. وتسبب موت راعيه في مرحلة من المصاعب بلغت ذروتها بسجنه. ولحسن حظه استطاع ابن سينا أن يهرب إلى أصفهان، ٢٥٠ ميلا جنوب طهران، مصحوبًا برهط صغير من أعوانه وقرر أن يستقر فيها. وفعلا قضى في أصفهان ١٤ عامًا في طمأنينة نسبية. وفيها أنهى كتابه "القانون في الطب" كما أنهى أيضًا كتابه الشهير الآخر "كتاب الشفاء".

إذ رحل إلى "أصفهان" وحظي برعاية أميرها "علاء الدولة"، وظل بها حتى خرج من الأمير علاء الدولة في إحدى حملاته إلى همدان؛ حيث وافته المنية بها في (رمضان ٤٢٨هـ= يونيو ١٠٣٧م).

في محراب العلم والإيمان:

كان ابن سينا عالمًا وفيلسوفًا وطبيبًا وشاعرًا، ولُقِّب بالشيخ الرئيس والمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي، كما عُرف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام، وكان سابقًا لعصره في مجالات فكرية عديدة، ولم يصرفه اشتغاله بالعلم عن المشاركة في الحياة العامة في عصره؛ فقد تعايش مع مشكلات مجتمعه، وتفاعل مع ما يموج به من اتجاهات فكرية، وشارك في صنع نهضته العلمية والحضارية.

وكان لذلك كله أبلغ الأثر في إضفاء المسحة العقلية على آرائه ونظرياته، وقد انعكس ذلك أيضا على أفكاره وآثاره ومؤلفاته، فلم يكن ابن سينا يتقيد بكل ما وصل إليه ممن سبقوه من نظريات، وإنما كان ينظر إليها ناقدًا ومحللا، ويعرضها على مرآة

عقله وتفكيره، فما وافق تفكيره وقبله عقله أخذه وزاد عليه ما توصل إليه واكتسبه بأبحاثه وخبراته ومشاهداته، وكان يقول: إن الفلاسفة يخطئون ويصيبون كسائر الناس، وهم ليسوا معصومين عن الخطأ والزلل.

ولذلك فقد حارب التنجيم وبعض الأفكار السائدة في عصره في بعض نواحي الكيمياء، وخالف معاصريه ومن تقدموا عليه، الذين قالوا بإمكان تحويل بعض الفلزات الخسيسة إلى الذهب والفضة، فنفى إمكان حدوث ذلك التحويل في جوهر الفلزات، وإنما هو تغيير ظاهري في شكل الفلز وصورته، وفسّر ذلك بأن لكل عنصر منها تركيبه الخاص الذي لا يمكن تغييره بطرق التحويل المعروفة.

وقد أثارت شهرة ابن سينا ومكانته العلمية حسد بعض معاصريه وغيرتهم عليه، ووجدوا في نزعته العقلية وآرائه الجديدة في الطب والعلوم والفلسفة مدخلا للطعن عليه واتهامه بالإلحاد والزندقة، ولكنه كان يرد عليهم بقوله: "إيماني بالله لا يتزعزع؛ فلو كنت كافرًا فليس ثمة مسلم حقيقي واحد على ظهر الأرض".

ريادة فلكية:

كان لابن سينا ريادات في العديد من العلوم والفنون؛ ففي مجال علم الفلك استطاع ابن سينا أن يرصد مرور كوكب الزهرة عبر دائرة قرص الشمس بالعين المجردة في يوم (١٠ جمادى الآخرة ٤٢٣ هـ = ٢٤ مايو ١٠٣٢م)، وهو ما أقره الفلكي الإنجليزي "جيرميا روكس" في القرن السابع عشر.

فقد قام بدراسات فلكية حينما كان في أصفهان ولاحقاً في همذان. وأثمرت هذه الدراسات عددًا من الاستدلالات التي ثبتت صحتها بعد قرون. وعلى سبيل المثال استطاع رصد كوكب الزهرة كبقعة على سطح الشمس واستنتج محقًا أن الزهرة لابد وأن يكون أقرب للأرض مما هو للشمس. كما ابتكر أيضاً جهازاً لرصد إحداثيات النجوم.

واشتغل ابن سينا بالرصد، وتعمق في علم الهيئة، ووضع في خلل الرصد آلات لم يُسبق إليها، وله في ذلك عدد من المؤلفات القيمة، منها:

١- كتاب الأرصاد الكلية.

٢- رسالة الآلة الرصدية.

٣- كتاب الأجرام السماوية.

٤- كتاب في كيفية الرصد ومطابقته للعلم الطبيعي.

٥- مقالة في هيئة الأرض من السماء وكونها في الوسط.

٦- كتاب إبطال أحكام النجوم.

عالم جيولوجيا:

وله أيضا قيمة في علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) خاصة في المعادن وتكوين الحجارة والجبال، فيرى أنها تكونت من طين لزج خصب على طول الزمان، وتحجر في مدد لا تضبط، فيشبه أن هذه المعمورة كانت في سالف الأيام مغمورة في البحار، وكثيرًا ما يوجد في الأحجار إذا كسرت أجزاء من الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها.

كما ذكر الزلازل وفسرها بأنها حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض؛ بسبب ما تحته، ولا محالة أن ذلك السبب يعرض له أن يتحرك ثم يحرك ما فوقه، والجسم الذي يمكن أن يتحرك تحت الأرض، وهو إما جسم بخاري دخاني قوى الاندفاع أو جسم مائي سيّال أو جسم هوائي أو جسم ناري.

ويتحدث عن السحب وكيفية تكونها؛ فيذكر أنها تولد من الأبخرة الرطبة إذا تصعّدت الحرارة فوافقت الطبقة الباردة من الهواء، فجوهر السحاب بخاري متكاثف طاف الهواء، فالبخار مادة السحب والمطر والثلج والطل والجليد والصقيع والبرد وعليه تتراءى الهالة وقوس قزح.

عالم نبات:

وكان لابن سينا اهتمام خاص بعلم النبات، وله دراسات علمية جادة في مجال النباتات الطبية، وقد أجرى المقارنات العلمية الرصينة بين جذور النباتات وأوراقها وأزهارها، ووصفها وصفًا علميًا دقيقًا ودرس أجناسها، وتعرض للتربة وأنواعها والعناصر المؤثرة في نمو النبات، كما تحدث عن ظاهرة المساهمة في الأشجار والنخيل، وذلك بأن تحمل الشجرة حملا ثقيلا في سنة وحملا خفيفا في سنة أخرى أو تحمل سنة ولا تحمل أخرى.

وأشار إلى اختلاف الطعام والرائحة في النبات، وقد سبق كارل متز الذي قال بأهمية التشخيص بوساطة العصارة، وذلك في سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤م.

ابن سينا والأقرباذين:

وكان لابن سينا معرفة جيدة بالأدوية وفعاليتها، وقد صنف الأدوية في ست مجموعات، وكانت الأدوية المفردة والمركبة (الأقرباذين) التي ذكرها في مصنفاته وبخاصة كتاب القانون لها أثر عظيم وقيمة علمية كبيرة بين علماء الطب والصيدلة، وبلغ عدد الأدوية التي وصفها في كتابه نحو ٧٦٠ عقَّارًا رتبها ألفبائيًا.

ومن المدهش حقا أنه كان يمارس ما يعرف بالطب التجريبي ويطبقه على مرضاه، فقد كان يجرب أي دواء جديد يتعرف عليه على الحيوان أولا، ثم يعطيه للإنسان بعد أن تثبت له صلاحيته ودقته على الشفاء.

كما تحدث عن تلوث البيئة وأثره على صحة الإنسان فقال: "فما دام الهواء ملائمًا ونقيًا وليس به أخلاط من المواد الأخرى بما يتعارض مع مزاج التنفس، فإن الصحة تأتي". وذكر أثر ملوثات البيئة في ظهور أمراض حساسية الجهاز التنفسي.

الطبيب الإنسان:

بالرغم من الشهرة العريضة التي حققها ابن سينا كطبيب والمكانة العلمية العظيمة التي وصل إليها حتى استحق أن يلقب عن جدارة بأمير الأطباء، فإنه لم يسعَ يوما إلى جمع المال أو طلب الشهرة؛ فقد كان يعالج مرضاه بالمجان، بل إنه كثيرًا ما كان يقدم لهم الدواء الذي يعده بنفسه.

كان ابن سينا يستشعر نبل رسالته في تخفيف الألم عن مرضاه؛ فصرف جهده وهمته إلى خدمة الإنسانية ومحاربة الجهل والمرض.

واستطاع ابن سينا أن يقدم للإنسانية أعظم الخدمات بما توصل إليه من اكتشافات، وما يسره الله له من فتوحات طبيبة جليلة؛ فكان أول من كشف عن العديد من الأمراض التي ما زالت منتشرة حتى الآن، فهو أول من كشف عن طفيل "الإنكلستوما" وسماها الدودة المستديرة، وهو بذلك قد سبق الإيطالي "دوبيني" بنحو ٩٠٠ سنة، وهو أول من وصف الالتهاب السحائي، وأول من فرّق بين الشلل الناجم عن سبب داخلي في الدماغ والشلل الناتج عن سبب خارجي، ووصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم، مخالفًا بذلك ما استقر عليه أساطين الطب اليوناني القديم.

كما كشف لأول مرة عن طرق العدوى لبعض الأمراض المعدية كالجدري والحصبة، وذكر أنها تنتقل عن طريق بعض الكائنات الحية الدقيقة في الماء والجو، وقال: إن الماء يحتوي على حيوانات صغيرة جدًا لا تُرى بالعين المجردة، وهي التي

تُسبب بعض الأمراض، وهو ما أكده "فان ليوتهوك" في القرن الثامن عشر والعلماء المتأخرون من بعده، بعد اختراع المجهر.

وكان ابن سينا سابقًا لعصره في كثير من ملاحظاته الطبية الدقيقة، فقد درس الاضطرابات العصبية والعوامل النفسية والعقلية كالخوف والحزن والقلق والفرح وغيرها، وأشار إلى أن لها تأثيرا كبيرًا في أعضاء الجسم ووظائفها، كما استطاع معرفة بعض الحقائق النفسية والمرضية عن طريق التحليل النفسي، وكان يلجأ في بعض الأحيان إلى الأساليب النفسية في معاجلة مرضاه.

ابن سينا وعلم الجراحة:

وقد اتبع ابن سينا في فحص مرضاه وتشخيص المرض وتحديد العلاج الطريقة الحديثة المتبعة الآن، وذلك عن طريق جس النبض والقرع بإصبعه فوق جسم المريض، وهي الطريقة المتبعة حاليًا في تشخيص الأمراض الباطنية، والتي نسبت إلى "ليوبولد أينبرجر" في القرن الثامن عشر، وكذلك من خلال الاستدلال بالبول والبراز.

ويُظهر ابن سينا براعة كبيرة ومقدرة فائقة في علم الجراحة، فقد ذكر عدة طرق لإيقاف النزيف، سواء بالربط أو إدخال الفتائل أو بالكي بالنار أو بدواء كاو، أو بضغط اللحم فوق العرق.

وتحدث عن كيفية التعامل مع السهام واستخراجها من الجروح، ويُحذر المعالجين من إصابة الشرايين أو الأعصاب عند إخراج السهام من الجروح، وينبه إلى ضرورة أن يكون المعالج على معرفة تامة بالتشريح.

كما يعتبر ابن سينا أول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية، وهو أول من قال بأن مركز البصر ليس في الجسم البلوري كما كان يعتقد من قبل، وإنما هو في العصب البصري.

وكان ابن سينا جراحًا بارعًا، فقد قام بعمليات جراحية ودقيقة للغاية مثل استئصال الأورام السرطانية في مراحلها الأولى وشق الحنجرة والقصبة الهوائية، واستئصال الخراج من الغشاء البلوري بالرئة، وعالج البواسير بطريقة الربط، ووصف بدقة حالات النواسير البولية كما توصل إلى طريقة مبتكرة لعلاج الناسور الشرجي لا تزال تستخدم حتى الآن، وتعرض لحصاة الكلى وشرح كيفية استخراجها والمحاذير التي يجب مراعاتها، كما ذكر حالات استعمال القسطرة، وكذلك الحالات التي يحذر استعمالها فيها.

الأمراض التناسلية:

كما كان له باع كبير في مجال الأمراض التناسلية، فوصف بدقة بعض أمراض النساء، مثل: الانسداد المهبلي والأسقاط، والأورام الليفية.

وتحدث عن الأمراض التي يمكن أن تصيب النفساء، مثل: النزيف، واحتباس الدم، وما قد يسببه من أورام وحميات حادة، وأشار إلى أن تعفن الرحم قد ينشأ من عسر الولادة أو موت الجنين، وهو ما لم يكن معروفًا من قبل، وتعرض أيضا للذكورة والأنوثة في الجنين وعزاها إلى الرجل دون المرأة، وهو الأمر الذي أكده مؤخرًا العلم الحديث.

كتاب عربي علّم العالم:

وقد حظي كتابه القانون في الطب شهرة واسعة في أوربا، حتى قال عنه السيد "وليم أوسلر": إنه كان الإنجيل الطبي لأطول فترة من الزمن.

وترجمه إلى اللاتينية "جيرارد من كريمونا"، وطبع نحو ١٥ مرة في أوربا ما بين عامي (٨٧٨هـ= ١٤٧٣م، و٩٠٦ هـ = ١٥٠٠م) ثم أعيد طبعه نحو عشرين مرة في القرن السادس عشر.

وظل هذا الكتاب المرجع الأساسي للطب في أوربا طوال القرنين الخامس والسادس عشر، حتى بلغت طبعاته في أوربا وحدها أكثر من ٤٠ طبعة.

واستمر يُدرّس في جامعات إيطاليا وفرنسا وبلجيكا حتى أواسط القرن السابع عشر، ظل خلالها هو المرجع العلمي الأول بها.

قانون ابن سينا للحركة والسكون:

أما في مجال الفيزياء فقد كان ابن سينا من أوائل العلماء المسلمين الذين مهدوا لعلم الديناميكا الحديثة بدراستهم في الحركة وموضع الميل القسري والميل المعاون، وإليه يرجع الفضل في وضع القانون الأول للحركة، والذي يقول بأن الجسم يبقى في حالة سكون أو حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم تجبره قوى خارجية على تغيير هذه الحالة، فقد سبق ابن سينا إلى ملاحظة حركة الأجسام، واستنباط ذلك القانون الذي عبّر عنه بقوله: "إنك لتعلم أن الجسم إذا خُلي وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير غريب لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين، فإذن له في طباعه مبدأ استيجاب ذلك".

وهو بذلك سبق إسحاق نيوتن بأكثر من ستة قرون وجاليليو بأكثر من ٥ قرون وليوناردو دافنشي بأكثر من ٤ قرون؛ مما يستحق معه أن ينسب إليه ذلك القانون الذي كان له فضل السبق إليه: "قانون ابن سينا للحركة والسكون".

كما ابتكر ابن سينا آلة تشبه الورنية Vernier، وهي آلة تستعمل لقياس الأطوال بدقة متناهية.

واستطاع بدقة ملاحظة أن يفرق بين سرعتي الضوء والصوت، وهو ما توصل إليه إسحاق نيوتن بعد أكثر من ٦٠٠ سنة، وكانت له نظرياته في (ميكانيكية الحركة)، التي توصل إليها "جان بيردان" في القرن الرابع عشر، و(سرعة الحركة) التي بنى عليها "ألبرت أينشتين" نظريته الشهيرة في النسبية.

ابن سينا والموسيقى:

ولابن سينا إسهاماته في الموسيقى، ويقال: إنه كاتب رباعيات شعرية فارسية وقصائد قصيرة، منها:

"من وسط الأرض نهضت للسماء السابعة
وتربعت على عرش زحل
حللت عقداً كثيرة في الطريق
إلا العقدة الكبرى: قَدَر البشر".

مؤلفاته:

وضع ابن سينا حوالي ٤٥٠ مؤلفًا، لم يصلنا منها سوى ٢٤٠ تقريبًا. ومن بين أعماله المتوفرة لنا اليوم هناك ١٥٠ في الفلسفة و٤٠ في الطب وهما الميدانان العلميان اللذان قدم فيهما أكبر إنجازاته. كما وضع أعمالا في علم النفس والجيولوجيا والرياضيات والفلك والمنطق.

وقد كتب كل مؤلفاته باللغة العربية باستثناء كتابين اثنين وضعهما بالفارسية وهي لغته الأم. أحد هذين الكتابين هو بعنوان "موسوعة العلوم الفلسفية" والثاني هو دراسة عن النبض أصبح ذائع الشهرة لاحقاً.

أولا: في الفلسفة:

١- الإشارات والتنبيهات: ذهب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلا إلى الأديان، فهو مؤسس الاتجاه الفلسفي الذي تحدى العقيدة وفكرة النبوة والرسالة في الإسلام، وكان يقول بقدم العالم وإنكار المعاد، ونفي علم الله وقدرته وخلقه العالم وبعثه من في القبور.

وذهب ابن سينا مذهب الفلاسفة من أمثال الفارابي أبي نصر التركي الفيلسوف، وكان الفارابي يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، وأعاد تلك الفكرة ابن سينا ونصره، وقد رد عليه الغزالي في "تهافت الفلاسفة" في عشرين مجلسًا له كفَّره في ثلاث منها وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وقوله: إنَّ الله لا يعلم الجزئيات، وبدّعه في البواقي.

لا شك أن صحبته لفلاسفة الباطنية كأبي عبد الله النائلي - الذي علمه بصغره- قد أثرت في تفكير ابن سينا، وهيأته للدور الذي لعبه في تنشيط تيار الفلسفة واتخاذها موقف التحدي للعقيدة الإسلامية، ومثال على ذلك "نظرية المعرفة" والتي ساوى فيها الفلاسفة مع الأنبياء، وقد خص الفلاسفة بميزة أخرى وهي أن الفلاسفة استمروا في رسالتهم وارتقاء معارفهم في الوقت الذي ختمت النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان أتباعه يدعون بـ "الألى" وقالوا مقالته ومن أشهرهم النصير الطوسي، واسمه: محمد بن عبد الله، ويقال له: الخواجا نصير الدين، الذي انتصر لمذهب ابن سينا والذب عنه وشرح إشاراته وكان يسميها "قرآن الخاصة"، ويسمي كتاب الله تعالى "قرآن العامة"، ورد على الشهرستاني في مصارعته ابن سينا بكتاب سماه "مصارعة المصارع".

٢- كتاب الشفاء.

٣- كتاب النجاة.

٤- كتاب المبدأ والمعاد. وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

٥- أسرار الحكمة المشرقية.

٦- رسالة حي بن يقظان.

٧- كتاب عيون الحكمة.

٨- الإنصاف في الحكمة.

ثانيًا: في العلوم الآلية:

تشتمل على كتب المنطق، وما يلحق بها من كتب اللغة والشعر والعلوم والطب، ومن آثاره اللغوية.

ثالثًا: في العلوم النظرية:

تشتمل على كتب العلم الكلّي، والعلم الإلهي، والعلم الرياضي، والطب النفسي.

رابعًا: في العلوم العملية:

وتشتمل على كتب الأخلاق، وتدبير المنزل، وتدبير المدينة، والتشريع.

خامسًا: في العلوم الأصلية:

فروع وتوابع، فالطب مثلا من توابع العلم الطبيعي، والموسيقى وعلم الهيئة من فروع العلم الرياضي.

كتب الطب:

١- كتاب القانون: أشهر كتب ابن سينا الطبية الذي ترجم وطبع عدّة مرات، والذي ظل يُدرس في جامعات أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر. جمع فيه ما عرفه الطب القديم وما ابتكره هو من نظريات واكتشفه من أمراض، وقد جمع فيه أكثر من سبعمائة وستين عقارًا مع أسماء النباتات التي يستحضر منها العقار. بحث ابن سينا في أمراض شتى أهمها السكتة الدماغية، التهاب السحايا والشلل العضوي، والشلل الناجم عن إصابة مركز في الدماغ، وعدوى السل الرئوي، وانتقال الأمراض التناسلية، والشذوذ في تصرفات الإنسان والجهاز الهضمي. وميز مغص الكلى من مغص المثانة وكيفية استخراج الحصاة منهما كما ميز التهاب البلورة (غشاء الرئة) والتهاب السحايا الحاد من التهاب السحايا الثانوي.

ومن كتبه الطبية أيضاً.

٢- كتاب الأدوية القلبية.

٣- وكتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية.

٤- وكتاب القولنج.

٥- ورسالة في سياسة البدن وفضائل الشراب.

٦- ورسالة في تشريح الأعضاء.

٧- ورسالة في الفصد.

٨- ورسالة في الأغذية والأدوية.

٩- ولابن سينا أراجيز طبية كثيرة منها: أرجوزة في التشريح، وأرجوزة المجربات في الطب والألفية الطبية المشهورة التي ترجمت وطبعت.

في الرياضيات:

١- رسالة الزاوية.

٢- مختصر إقليدس.

٣- مختصر الارتماطيقي.

٤- مختصر علم الهيئة.

٥- مختصر المجسطي.

٦- رسالة في بيان علّة قيام الأرض في وسط السماء، طبعت في مجموع (جامع البدائع)، في القاهرة سنة ١٩١٧.

في الطبيعيات وتوابعها:

١- رسالة في إبطال أحكام النجوم.

٢- رسالة في الأجرام العلوية وأسباب البرق والرعد.

٣- رسالة في الفضاء.

٤- رسالة في النبات والحيوان.

٥- قانون الحركة الأول، وفيه: (الجسم الساكن يبقى ساكنًا والجسم المتحرك يبقى متحركًا مالم تؤثر عليه قوة خارجية) والذي نسبه لنفسه إسحاق نيوتن.

في الموسيقى:

١- مقالة جوامع علم الموسيقى.

٢- مقالة في الموسيقى. ومقالات أخرى.

ابن سينا في عيون الغرب:

حظي ابن سينا بتقدير واحترام العلماء والباحثين على مر العصور حتى قال عنه "جورج ساتون": "إن ابن سينا ظاهرة فكرية عظيمة ربما لا نجد من يساويه في ذكائه أو نشاطه الإنتاجي".. "إن فكر ابن سينا يمثل المثل الأعلى للفلسفة في القرون الوسطى".

ويقول دي بور: "كان تأثير ابن سينا في الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى عظيم الشأن، واعتبر في المقام كأرسطو".

ويقول "أوبرفيل": "إن ابن سينا اشتهر في العصور الوسطى، وتردد اسمه على كل شفة ولسان، ولقد كانت قيمته قيمة مفكر ملأ عصره.. وكان من كبار عظماء الإنسانية على الإطلاق".

ويصفه "هولميارد" بقوله: "إن علماء أوربا يصفون "أبا علي" بأنه أرسطو طاليس العرب، ولا ريب في أنه عالم فاق غيره في علم الطب وعلم طبقات الأرض، وكان من عادته إذا استعصت عليه مسألة علمية أن يذهب إلى المسجد لأداء الصلاة، ثم يعود إلى المسألة بعد الصلاة بادئًا من جديد؛ فيوفق في حلها".

ولا تزال صورة ابن سينا تزين كبرى قاعات كلية الطب بجامعة "باريس" حتى الآن؛ تقديرًا لعلمه واعترافًا بفضله وسبقه.

ويقول الدكتور خير الله في كتابه القيم الطب العربي: "ويصعب علينا في هذا العصر أن نضيف شيئًا جديدًا إلى وصف ابن سينا لأعراض حصى المثانة السريرية".

أوائل ابن سينا:

وهو أوَّل من وصف التهاب السحايا، وأظهر الفرق بين التهاب الحجاب الفاصل بين الرئتين والتهاب ذات الجنب.

وهو أوَّل من اكتشف الدودة المستديرة أو دودة الإنكلستوما قبل الطبيب الإيطالي روبنتي بأكثر من ثمانمائة سنة.

وهو أوَّل من اكتشف الفرق بين إصابة اليرقان الناتج من انحلال كريات الدم، وإصابة اليرقان الناتج من انسداد القنوات الصفراوية.

وهو أوَّل من وصف مرض الجمرة الخبيثة وسماها النار المقدسة.

وأوَّل من تحدَّث وبشكل دقيق عن السكتة الدماغية، أو ما يسمى بالموت الفجائي.

وأول من شخص الشلل النصفي وميز بين الشلل العضوي المحلي والشلل الناتج عن سبب مركزي في الدماغ.

أول من وصف أعراض داء «الفيلاريا» أو داء الفيل، وهو مرض يصيب الرجلين فتتضخمان.

وهو أول من وصف أعراض داء «الجمرة الخبيثة».

وأول من وضع أسس علم التخدير.

مصادر الترجمة:

١- سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ١١٨، ١١٩.
٢- عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٣/ ١٥٩ .
٣- الوافي بالوفيات للصفدي ١١/ ٧٩ - ٨٧ .
٤- عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢/ ٢ – ٢٠.
٥- تاريخ الحكماء للقفطي ٤١٣ – ٤٢٦.
٦- تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٥٢ – ٧٢.
٧- البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٢، ٤٣.
٨- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥/ ٢٥، ٢٦.
٩- لسان الميزان لابن حجر ٢/ ٢٩١ – ٢٩٣.
١٠- تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٣٢٥ – ٣٣٠.
١١- الكامل في التاريخ لابن الأثير ٩/ ١٥٧.

obeikandl.com

وصف النسخة الخطية

اعتمدنا في تحقيقنا لهذا الكتاب القيم النادر على نسخة خطية محفوظة في مكتبة أحمد الثالث برقم (٦٠٣)، وهي تقع في (٤١) لوحة، وفي الصفحة (٢١) سطرًا، ومقاس الصفحة ٤٢/٣٣.٥ سم.

وهي نسخة جيدة كُتبت بخط نسخ نفيس مشكول سنة ٥٨٦ هـ.

منهج التحقيق

سار عملنا في الكتاب وفق المنهج التالي:

١- نسخ النص نسخًا علميًا دقيقًا.

٢- مطابقة النص ومراجعته.

٣- التعليق على المواضع التي تحتاج زيادة إيضاح، أو بسط مسألة، أو بيان مشكل.

٤- ترقيم النص حسب قواعد الترقيم الحديثة.

٥- صنع مقدمة حول المبدأ والمعاد.

٦- صنع ترجمة وافية للشيخ الرئيس ابن سينا.

٧- عمل فهارس تفصيلية لأبواب الكتاب.

وأخيرًا فهذا هو جهد المقل، والمرجو ممن يطلع على كتابنا فيجد فيه عيبًا أن يبادرنا بالنصيحة، والتصويب، فكل معرض للخطأ، ولا كمال إلا لله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

المحقق

صور النسخة الخطية

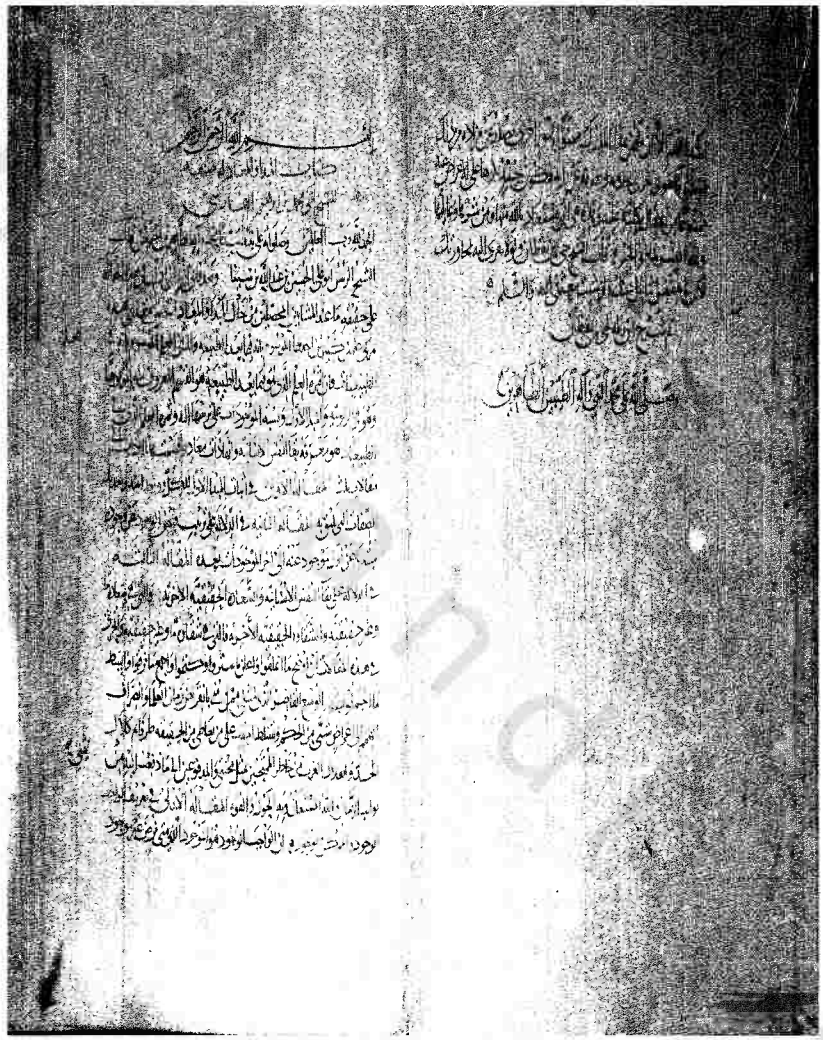

صور النسخة الخطية

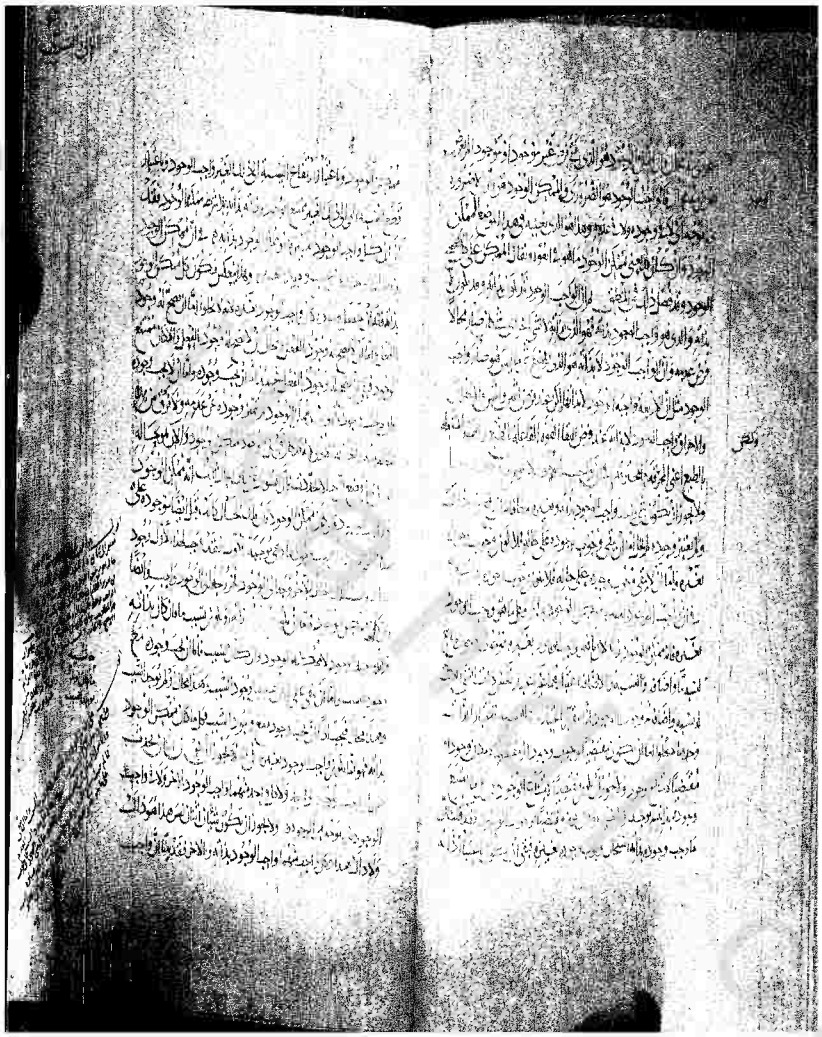

صور النسخة الخطية

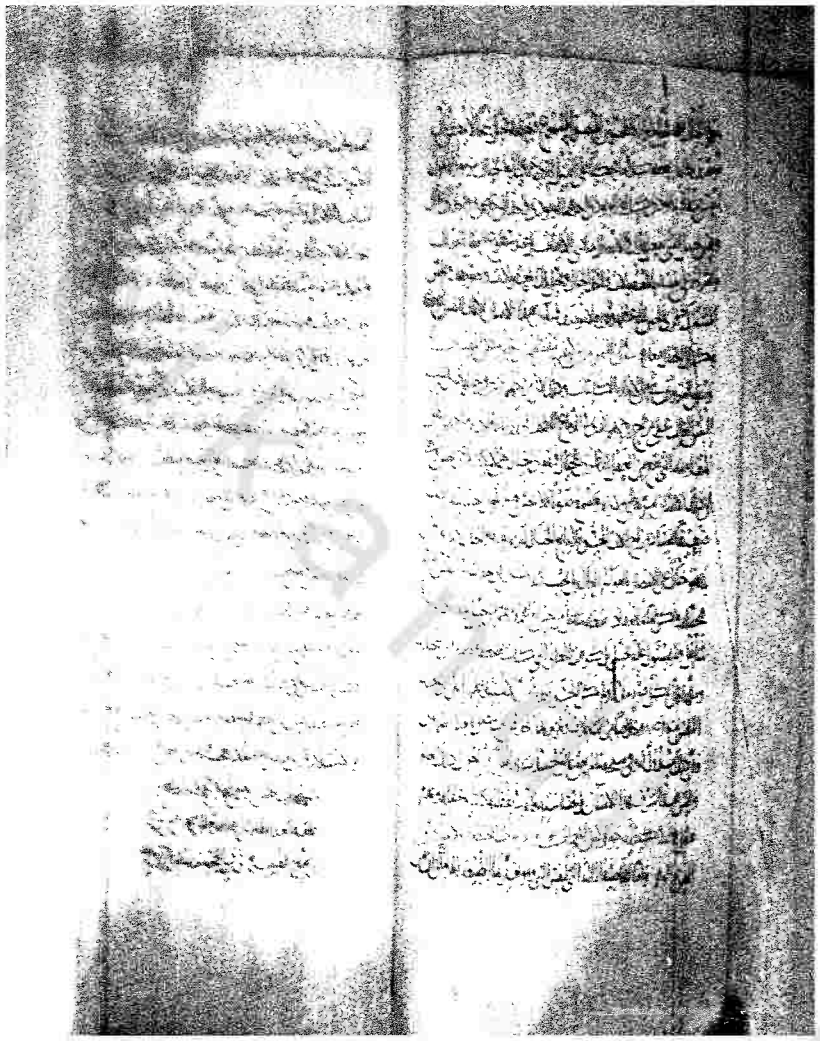

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيه محمد وآله الطاهرين أجمعين[١].

قال الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا:

وبعد:

فإني أريد أن أدُلَّ في هذه المقالة على حقيقة ما عند المشائين[٢] المحصلين من حال المبدأ والمعاد.

فيتضمن مقالتي هذه ثمرتي علمين كبيرين:

أحدهما: الموسوم بأنه في ما بعد الطبيعة.

والثاني: العلم الموسوم بأنه في الطبيعيات.

فإن ثمرة العلم الذي هو في ما بعد الطبيعة هو القسم المعروف منه بـ"أثولوجيا" وهو في (الربوبية) والمبدأ الأول[٣]، ونسبة الموجودات على ترتيبها إليه.

---

(١) بداية النسخة قبل الحمد لله:

(كتاب المبدأ والمعاد له، صنفه للشيخ أبي محمد بن إبراهيم الفارسي...).

(٢) هم الفرقة المسمّاة من الأفعال التي كانت تظهر من أصحابها (المشّاءون) وهم أصحاب (أرسطو) و (أفلاطون). وذلك أن هذين كانا يعلّمان الناس وهم يمشون، كيما يرتاض البدن مع رياضة النفس. [مصطلحات الفلسفة عند العرب- جيرار جهامي ٥٨٥/٣]

قلت: وقد أعجب ابن سينا جدًا بالمشائين بعد أن قرأ نظم الفارابي لأفكارهم، ولقد قال لأحد كتاب سيرته: أنه قرأ نص أرسطو عن الميتافيزيقيا أربعين مرة دون أن يفهمها تماما. ولكن ما كتبه الفارابي عن أفكار أرسطو فهمه ابن سينا في الحال مما زاد شغفه وإعجابه الشديد بالفارابي الذي توفي قبل ميلاد ابن سينا بحوالى اثنين وثلاثين عامًا، ولقد حاول ابن سينا في بعض كتاباته شرح ما وجده غامضًا في كتابات الفارابي، والحقيقة أن كلا من ابن سينا والفارابي استعملا أرسطو كقاعدة انطلاق، ثم وجدا حلولاً جديدة للمشاكل كما وصفها أرسطو.

(٣) الرب من أسماء الله تعالى، والنسبة اليه: ربي، ورباني، وربوبي.

وعلم الربوبية هو العلم الإلهي، وهو أحد اقسام الفلسفة.

وثمرة العلم الذي في الطبيعيات[1] هو معرفة بقاء النفس الإنسانية وأنها ذات معاد.

وقسمتُ هذا الكتاب إلى مقالات ثلاث:

المقالة الأولى: في إثبات المبدأ الأول للكل ووحدانيته وتعديد الصفات التي تليق به.

المقالة الثانية: في الدلالة على ترتيب فيض الوجود عن وجوده مبتدءًا عن أول موجود عنه إلى آخر الموجودات بعده.

المقالة الثالثة: في الدلالة على بقاء النفس الإنسانية والسعادة الحقيقية الآخرية والتي هي سعادة ما وغير حقيقية والشقاوة الحقيقية الآخرية والتي هي شقاوة ما وغير حقيقية.

وأتحرى في هذه المقالات أن أُوضح ما أغلقوا، وأعلن ما ستروا وكتموا، وأجمعَ ما فَرَّقوا، وأبسط ما أجملوا بمقدار الوسع القاصر الذي لمثلي، ممّن مُنِيَ بانقراض زمان

=

تجد هذا اللفظ عند الكندي في رسالته إلى المعتصم بالله في الفلسفة الاولى، وتجده عند الفارابي في كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين، وهو عنوان كتاب معروف باسم (أثولوجيا) نسبه الفارابي الى أرسطو خطأ.

اما في الفلسفة الحديثة فأول من استعمل لفظ (Theodicee) هو الفيلسوف (ليبنيز) ثم عمّ استعمال هذا اللفظ، فأطلق في فرنسا بتأثير المدرسة التوفيقية على أحد اقسام الفلسفة التي أضيفت على مناهج التعليم الثانوي، وتشمل: علم النفس، والمنطق، والأخلاق، والربوبية. ويسمى علم الربوبية عندهم بالإلهيات، وهي طبيعية وعقلية. ويشتمل على الموضوعات التالية، وهي: البرهان على وجود الله- الصفات الإلهية- العناية الإلهية- وجود الشر- مصير الانسان- خلود النفس- الأخلاق الدينية. [المعجم الفلسفي –جميل صليبا ٦٠٩/١]

(١) علم الطبيعيات هو علم كل متحرّك (ك، ر، ١١١، ١٠) - الأصل في هذا العلم (الطبيعيات) هو معرفة خمسة أشياء وهي: الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان، وما فيها من المعاني إذا أضيف بعضها إلى بعض (ص، ر ٢، ٣، ١٤) - علم الطبيعيات: فهو بحث عن عالم السماوات وكواكبها وما تحتها من الأجسام المفردة: كالماء والهواء والتراب والنار، ومن الأجسام المركّبة: كالحيوان والنبات والمعادن، وعن أسباب تغيّرها واستحالتها وامتزاجها (غ، مض، ٢٣، ٤) - الطبيعيات وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يخلقه من الحركة والسكون فينظر في الأجسام السماوية والعنصرية وما يتولّد عنها من حيوان وإنسان ونبات ومعدن وما يتكوّن في الأرض (خ، م، ٣٩٠، ٢). [مصطلحات الفلسفة عند العرب ٥٣٩/٣]

العلماء، وانصراف الهمم إلى أغراض شتَّى عن الحكم، وتسلط المقتِ على مَن تعاطى من الحقيقة طرفًا؛ ثم كلال الحد وانفلال الغرب من خاطر الممتحنين بمثل محنتي والمدفوعين إلى ما دُفِعتُ إليه من نوائب الزمان، واللهُ المستعان، وبه الحولُ والقوةُ.

obeikandl.com